

الفضائيات وأثرها على السلوك الجنسي لدى الشباب الجزائري

*سيدي موسى ليلي

مقدمة

ارتبط الجنس منذ القدم بالعديد من المحرمات والشعائر الدينية، حيث انتشرت بعض المفاهيم-التي تقول بأن الأخلاق الحسنة تقتضي الابتعاد عن كل عمل جنسي، ذلك أن الجنس إثم وخطيئة، وقد بقي الكثير من هذه المفاهيم والأفكار سائداً في المجتمعات إلى يومنا هذا. فكل دول العالم اليوم تسعى إلى القضاء على الجريمة، الانحراف، والأمراض بكل الوسائل وتعمل على ذلك بإقامة البرامج والتنظيمات ولكنها مع ذلك لم تحاول أن تحل مشكلتها مع الجنس البشري والذي هو أساس كل المشكلات، فكثير من الجرائم والانحرافات والأمراض سببها الجهل أو تعمدته لذات وجسم الإنسان، الذي يملك العديد من الطاقات التي يجب توجيهها وأخرى يجب اكتشافها لإمكانية التحكم فيها.

ما يشد الاهتمام هو أن الإسلام والسنة النبوية من خلاله، نجدها قد تناولت الموضوع من دون حرج أو إثارة، وذلك من خلال فصله في المسألة الجنسية عن طريق آيات وأحاديث نبوية شريفة، لا مجال في الشك فيها، لم تترك مجالاً خاصاً بهذا الجانب ولم تتناوله، من منطلق أن لا حياة في الدين، وربما يمكن القول أن الأفراد لم يجدوا من يشرح لهم هذه الأحكام الشرعية بدون مناسبة تذكر، فنحن في المجتمعات العربية لا نتناول أي شيء إلا عندما يحين وقته وغالبا ما يكون على عتبة الزواج، وهذه الثقافة المجتمعية لمجتمعنا.

* - أستاذة ، قسم علم الاجتماع، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغاثم.

لذلك فإن هدف هذا البحث العلمي هو هدف أي علم يوصل إلى الحقيقة، وعلم الاجتماع على الأخص يسعى إلى فهم حقيقة المجتمع والعلاقات القائمة فيه والتي تحدث وضعيات اجتماعية معينة، ويتمثل في محاولة الكشف عن واقع التربية الجنسية في الأسرة الجزائرية، وهل هي موجودة أم لا ؟

كما نحاول أن نعرف أسباب الامتناع عن هذا الموضوع، وهل هو واحد في كل المستويات المعيشية للأفراد وكل المستويات التعليمية ؟ وهل بالرغم من التغيرات التي حدثت في المجتمع الجزائري لاسيما انفتاحه على العالم الخارجي بقي المجتمع محافظاً على موقفه بإهماله لهذا النوع من التربية، خاصة بعد ظهور أمراض مرتبطة بالناحية الجنسية SIDA مثلاً.

فهل هذا الإهمال مازال قائماً، أم أن هناك محاولات لتصحيح كل هذا؟ بالإضافة إلى أننا نهدف إلى معرفة مدى نجاح المجتمع والأسرة في منع أبنائهم من الحصول على معلومات جنسية ؟

إذ يعتبر موضوع الجنس من المواضيع التي تثير الكثير من الجدل حولها، وتشغل حيزاً كبيراً في فكر الإنسان والمجتمع ككل، ذلك أن التطرق إليه يثير كثيراً من السلوكات التي غالباً ما تعبر عن تصورات ونظرة الأفراد له، والتي تتجه في معظمها إلى الضيق والحرج منه ورفضه، وحتى الاستنكار من ذكره أو التطرق إليه، كما يحيل إلى عدة مفاهيم معقدة، لذلك سنحاول تحديد معناه لاحقاً.

كما أن التعرض للجنس داخل الأسرة الجزائرية، يعتبر ممنوعاً اجتماعياً، بدءاً ومروراً بالتربية الأسرية التي تقوم على التفريق بين الجنسين في العملية التربوية، ومدى تأثير هذه التربية على تكوين شخصية الفرد واتجاهاته.

التربية في الأسرة الجزائرية

تقوم التربية الأسرية في الأسرة الجزائرية على التفريق بين الجنسين فالذكر يبقى أحسن مكانة من المرأة، لأنه يمثل القوة والحامل لاسمها، والمرأة تشكل قوة خطرة يجب ردعها، فحسب نفيسة زردومي أن التفريق بين الجنسين يقوم على أنه لا يجب على المرأة أن تخرج إلى الشارع لوحدها، ولا أن تكلم غريباً، ولا أن تنزع الستار عن وجهها ولا أن يراها رجل

غريب، أو أن تظهر عارية اليدين، أو أن تتزين أمام رجل، في حين أن الرجل يمنع أن يسلم على المرأة أو أن يكلمها أو أن يلمح لها بحبه⁽¹⁾.

وهكذا فالأنثى في الأسرة الجزائرية تفرض عليها قيود كبيرة وفروقا أكبر بينها وبين الذكر بدأ من منعها من الخروج إلي الشارع « فبقاء المرأة في الداخل مدعم ومحكوم بعنف من الرجال الذين مكانهم في الخارج... وهدفهم هو الحفاظ على الانسجام الذي يضمن حياة المجموعتين »⁽²⁾، هي تبقى في البيت لضعفها النفسي والجسدي ولسهولة انقيادها وانصياعها فلذلك فهي تشكل خطرا فجسمها يعتبر عيبا Tabou⁽³⁾.

كما تتعلم الأنثى كيف تطيع وترضخ لرغبات أخيها حتى ولو كان أصغر منها فهو الرجل ويعلم هو كذلك أنه توجب طاعته « يتعلم الصبي بسرعة جعل أخواته تحت تصرفه وتضمن له أمه ذلك فكل رغباته مجابة »⁽⁴⁾، كما تتعلم منذ صغرها القيام بالأعمال المنزلية وتتعلم المحافظة على جسدها وخاصة على شرفها فلا يجب أن تحدث أحدا غير أخواتها وتحمل الأم مسؤولية تربية الأنثى « فتقوم الأم بتعليم ابنتها الانصياع والخضوع مجبرة وقهر شخصيتها وكسر كل يقضة للتححر »⁽⁵⁾، كما تعمل على تعليمها بأنها في خطر كلما كبرت في السن وأنها أيضا تمثل خطراً.

بهذه الطريقة تجبر الأم ابنتها على قبول وضعها الذي تعيشه إلى أن يحين موعد زواجها أين تتغير وضعيتها، وإلى أن يحين ذلك الموعد تصبح الأنثى تحت مراقبة صارمة خاصة بعد ظهور الحيض لديها الذي في الغالب لا تكون تعرف عنه شيئا، والذي تعيشه بكثير من الخوف أو الهلع الناتج عن اعتقادها بأنها فقدت عذريتها وغالبا ما تتجه إلى إحدى صديقاتها أو جاراتها لتصحيح معلوماتها والاطمئنان على سلامتها، ومنذ هذه اللحظة يبدأ التحذير المتكرر وبكل الأشكال، تحذير الأنثى من أن يقترب منها أي رجل دون تحديد لهذا الاقتراب ونوعه فتتعلم أن تحفظ نفسها من أجل رجل هو زوجها والذي يعتبر العذرية حق من حقوقه فالعذرية وضعت تحت مراقبة اجتماعية صارمة⁽⁶⁾.

ولأنها تحذر من كل شيء له علاقة بالجنس فهي تنشأ على ذلك إلى غاية زواجها، وتبقى متأثرة به، وفي الغالب زواجها هذا تبقى الوحيدة التي يكون آخر من يعلم، فغالبا ما ينسى أن يؤخذ برأيها في الموضوع، وفي هذه اللحظة تتكفل إحدى قريباتها العممة أو الخالة أو الأخت الكبرى بإخبارها عن كل ما كان ممنوعا عنها طوال حياتها، وتبدأ بإخبارها عن

العلاقة الجنسية وكيف تحدث « ولكن هناك درس واحد وأساسي يعطى لها من طرف المحيطات بها، وهو عدم الفاعلية أي عدم المشاركة الإيجابية في العملية الجنسية passivité»⁽⁷⁾، إذ ليس من اللائق أن تحس المرأة بأي إحساس وهكذا تعود وتتكرر سيطرة الرجل على المرأة وبفضل المرأة نفسها، فالمرأة يجب عليها الخضوع « فكل فعل منها يؤدي إلى علاقة مع زوجها يعتبر غير لائق فمثل هذا السلوك لا تقوم به إلا البغايا أو الزانيات»⁽⁸⁾.

ولا يتحقق نقاء المرأة وطهارتها إلا بعد فض البكارة التي هي موضوع امتحان أمام الجماعة⁽⁹⁾ وهكذا نجد المرأة تعيش تناقضا اجتماعيا فهي يجب أن تكون عفيفة طاهرة لا تحس ولا تشعر بالجنس ولكن يجب عليها أن تكون مطيعة لزوجها وترضيه، فجسدها عورة، يجب إخفاؤه بمقاييس الأخلاق ومباح بمقاييس الزواج⁽¹⁰⁾.

وهذا وإن كان المجتمع والأسرة لا يفرضان مراقبة صارمة على جنس الرجل وحياته الجنسية كما يفرضها على المرأة، لكنه -الرجل- مع ذلك يجد كل الضغوطات موجهة نحوه ليلة الزفاف، من حيث أنه مطالب بإثبات رجولته أمام الجميع، « فليلة الزفاف هي المناسبة التي يختبر فيها الرجل رجولته »⁽¹¹⁾.

هذا ما تحاول التربية الأسرية أن تجعل عليه أفرادها في الأسرة الجزائرية، من حيث أن الجنس شيء خاص بالكبار، والذين هم مقبلون على الزواج دون غيرهم. ومع حدوث تغيرات اجتماعية في المجتمع الجزائري وخاصة من حيث مجال الاتصالات فيما بين الأفراد واتساع دائرتها، وبعد خروج المرأة للدراسة ثم العمل، وبعد ظهور وسائل الإعلام التي أصبحت تلعب دورا كبيرا في نقل المعلومات، وأيضا على إعطاء نوع من الثقافة الجنسية، يمكننا أن نتساءل عن مدى نجاح هذه التربية الأسرية التقليدية في ترسيخ المفاهيم والمعتقدات الخاصة بها. لكن قبل ذلك نرى أنه من الضروري أن نتحدث كيف تعمل الأسرة على التأثير على أفرادها.

تأثير الأسرة في تشكيل شخصية الفرد

يمكن إرجاع الكثير من مظاهر التكيف أو عدمه التي تظهر في سلوك الأفراد إلى نوع العلاقات الاجتماعية التي تسود أفرادها والتي هي أساس المعاملة بين الابن ووالديه، فالأسرة هي المجال الأول الذي ينشأ فيه الفرد ويتعلم الكثير من الخبرات والمهارات ومختلف

الأشياء التي تلقى قبول المجتمع أو رفضه، وذلك من خلال علاقاته مع مختلف أعضاء الأسرة، وعليه فإن الأسرة هي المجال الأول الذي يساهم في تشكيل ميول واتجاهات الفرد. وعليه فالأسرة في مجال الجنس تحمل اتجاهها معيناً وهو سكوتها وتكتمها حول كل ما يتعلق بالموضوع وتجنبها الحديث عنه لتجنب المشاكل التي يمكن أن تحدث بتناوله، لكن الفرد عند ما يصل إلى مرحلة عمرية معينة، فالبالوغ وما يحمله من صفات المراهقة، فإن الفرد لا يمكنه أن يتجنب الجنس لأنه يصطدم به لكونه حقيقة تتصل به وبذاته، فيعود ويتذكر أن أولى العمليات التي تعلمها للتحكم في جسمه، كانت في غالب الأمر مؤلمة، فهو يتعلم عملية التحكم في الإخراج (التبول والتغوط) بالقوة والعنف⁽¹²⁾، وبعد ذلك يجبر على ستر ذلك الجزء من جسمه بنفس القوة والعنف، والعقاب.

ويتعلم الطفل منذ الصغر أن التحدث أو حتى الإشارة إلى الجنس يعتبر حقيقة مؤلمة، ولكنه عندما يصل إلى مرحلة المراهقة يجد نفسه مجبراً على التعرض للجنس، من خلال ما يتعرض له جسمه من تغيرات خارجية، وربما يعتقد أن ما يحدث له إنما يحدث له دون غيره، وربما لخطأ قام به، ويكتم الأمر ويعيشه على أعصابه دون أن يستطيع الاستفسار عما يحدث له. لأن المرحلة التي وصل إليها هي الأخرى حرجة وتحمل العديد من الإحساس والشعور بالحرج وربما الدونية، إذ يصبح الفرد المراهق حساساً لكل ما يحيط به، وبالتالي يعيش المراهق في الأسرة الجزائرية المشكلين معاً، فهو لا يمكنه التحدث عن الجنس، ولا يمكنه التحدث عما يجري له في جسده لأن هذا مرتبط بذلك وإلى أن يصل إلى سن الرشد والشباب يكون قد مر بالكثير من المصاعب التي تجعله يبحث عن أي مصدر مهما كان، يمكنه من خلاله أن يفسر ما يحدث له، ولا يمكننا التحكم في المصدر الذي يعتمد عليه الفرد في تصحيح معلوماته، لأننا لا نملك رقابة على الفرد طوال النهار، إذ أن الفرد في الوقت الحالي أصبح يقضي معظم وقته بعد المدرسة مع الأصدقاء أو في أي نشاط ترفيهي آخر.

هكذا تبدأ عملية الصراع النفسي لدى الأفراد ذلك أن الدافع الجنسي يأتي بعد الدافع إلى الأكل والشرب، ويؤثر تأثيراً كبيراً في التوافق والصحة النفسية، فالحرمان الجنسي لا يكون سببه بيولوجي أو فيزيولوجي بل اجتماعي، فالفرد يصل إلى النضوج الجنسي بسنوات قبل وصوله إلى ما يسمح له المجتمع بالقيام به (هو الزواج) فالظروف الاقتصادية والاجتماعية غالباً ما لا تسمح له بتحقيق رغبته وقد عبر عنها Jeresilp، « بأنها مرحلة

بطالة جنسية حيث يكون المراهق في كامل قوته الجنسية ومؤهلا لدور الوظيفة الجنسية، غير أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية قد تمنعانه عن ممارسة هذه الوظيفة بالزواج إلا بعد فترة»⁽¹³⁾.

بالإضافة إلى المرحلة التي يتخطاها الشباب المراهق وما ينتج عنها من قلق وتوتر، لاسيما أن مرحلة المراهقة تعتبر مرحلة اهتمام بالجنس الآخر، وفي المقابل عملية التربية والتنشئة الاجتماعية تصبح ذات أبعاد مجتمعية أكثر عمقا وارتباطا بالمجتمع الأكثر⁽¹³⁾، وبالإضافة إلى أن وسائل الإعلام وما تبثه من إعلانات وأفلام مثيرة، خاصة وسائل الإعلام الغربية، تجعل من الصعوبة التوقف عند ما تحاول التربية الأسرية العمل على ترسيخه في سلوكات وعادات الأفراد.

ف نجد مثلا أسلوب التخويف الذي يعمل على إنماء نوع من الارتباك في نفسية الطفل، وذلك من خلال ما يستعمله الآباء من إلقاء اللعنة على أحد أبنائهم في حالة الخروج عن طاعتهم وهؤلاء "الأطفال غير المطيعين غالبا ما يمرضون مرضا خطيرا، أو يصبحون مشوهين أو قبيحي المنظر"⁽¹⁴⁾ بالإضافة إلى أن الآباء يعتمدون أيضا على أشياء خيالية مخيفة من خلال ما يروونه من قصص لأبنائهم، بغرض أخذ العبرة مما يجعل الطفل يعيش في قلق دائم من المجهول.

كما نجد أسلوب التخجيل والإشعار بالذنب، وهذه طريقة تجعل الطفل يشعر بالدونية من خلال ما يقال له من أبويه واخوته، بأنه أقل شئنا منهم فيشعر عندها بالإحباط ويحاول أن يفهم سبب سلوكهم نحوه، ويغير من تصرفاته حتى يستطیع إرضاءهم، لكن قد يتعنت فيصر على ما هو عليه لأنه متأكد من أنه لا أهمية له، ولن يرضى الجميع حتى وإن أراد ذلك. وهذه العمليات تشكل نموذجا من الأساليب في عملية التنشئة الاجتماعية ولا تلجأ الأسرة إلى مجال التشجيع والمكافأة إلا نادراً.

نجد هذا الأسلوب تشجعه الأسرة حتى في المدرسة، بأن لا تمنع المدرسين من ضرب أبنائهم بشرط أن لا يتعدى ذلك إلى أضرار جسمية خطيرة وبذلك يعيش الطفل، العربي والجزائري خصوصا مقهورا مكرها على فعل الأشياء وعدم فعلها من غير أن يسأل أو يناقش، فالتربية الأسرية هذه تعمل على جعل أو إنشاء فرد تابع غير قادر ولا قابل للنقاش

والحوار، وضعيف الشخصية، وهذا نلاحظه في الازدواجية التي تظهر في تصرفات الفرد في مسائل معينة.

فالجنس مثلاً ممنوع التطرق إليه لأن الأسرة عن طريق هذه الأسباب وغيرها منعه على أفرادها، لكننا نجد الفرد يمنع نفسه أمام الأسرة من التطرق للموضوع، لكنه خارجها وبغياها يفعل ما يريد. وهذا ما نجد هشام الشرايبي يشير إليه أن من نتائج هذه التربية: « من هنا يتعلم الفرد أن يسكت على القهر وأن يكبت الضغينة، ومن هنا تكون في الفرد صفات لها أبعاد الأثر في تكوين شخصيته وتطوير أنماط سلوكه، لذلك نرى الفرد في سلوكه الاجتماعي بدلا من اعتماده على الصراحة والصدق والتعاون مع الآخرين، يميل إلى المداورة والأسلوب غير المباشر ويعتاد الدس والتمويه في تفاعله الاجتماعي »⁽¹⁵⁾.

وسائل الإعلام

إن كلمة إعلام مشتقة من الفعل أعلم (يعلم إعلاما) غيره بالخبر، أي أخبره به، أما لغويا فتعني نقل الخبر إلى عدد كبير من الناس، وفي هذا الصدد يقول Hernar tirro « الإعلام هو نشر الوقائع والآراء في صيغة مناسبة بواسطة ألفاظ أو أصوات أو صور، وبصفة عامة بواسطة جميع العلاقات التي يفهمها الجمهور »⁽¹⁶⁾. وغالبا ما يرادف كلمة الإعلام كلمة الإعلام والاتصال والذي هو « وسيلة لنقل المعلومات والأفكار والتصرفات من شخص واحد إلى شخص آخر »⁽¹⁷⁾ أو بمعنى آخر هو « الطريقة التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسق اجتماعي معين، يختلف من حيث الحجم ومن حيث محتوى العلاقات المنظمة فيه »⁽¹⁸⁾.

وعليه يمكن القول أن هناك تشابها بين الإعلام والاتصال، إذ أن الهدف منها هو نقل الخبر إلى عدد من الناس، وأيضا لأنهما يستعملان نفس الوسائل كالراديو (الإذاعة) الصحافة التلغراف، أما الآن فالإعلام الآلي والانترنت.

فالإعلام والاتصال أسلوب ووسيلة تتكون بهما ومن خلالهما العلاقات الإنسانية، وجانب بالتالي من التنشئة الاجتماعية يمارس بواسطة هذه الوسائل، لكنها لا تساهم في تشكيل بعض جوانب الطفل عن نفسه، بل تعمل على تعطيل بعض قدراته وإمكاناته في التفكير⁽¹⁹⁾، لأنها حولته إلى إنسان مستقبل وقادت تفكيره إلى استقبال الأفكار والحلول الجاهزة، وتأثير وسائل الإعلام يكون بطريقة غير مباشرة في عملية التنشئة، ذلك أنها تتوجه

للفرد من أجل تسليته والترفيه عنه أولاً، لكنها عبر ما تقوم به من خلال هذه التسلية تحمل أفكاراً ومعتقدات ينقاد لها المشاهد خاصة الطفل، بأسلوب عاطفي، أكثر منه عقلي، بما لها من عناصر التشويق والإثارة

يزداد تأثير وسائل الإعلام يوماً بعد يوم في سلوك الأفراد واتجاهاتهم خاصة بعد التطور الحاصل في الوسائل التكنولوجية المتقدمة والتي تسمح بنقل جيد وسريع للمعلومات، كما أن تأثيرها يتعاظم لأنها تقوم بنشر المعلومات المتنوعة والمختلفة حول كافة الموضوعات والمجالات، بدون تحديد للأعمار بالإضافة إلى أن هذا التأثير يستمر ويدوم طويلاً إلى أن يصل إلى الهدف، لأن وسائل الإعلام تقوم بالعملية بطريقة متكررة ومتنوعة للإقناع، ولا يمكن لأي واحد منا، أن ينفي أثر التكرار المستمر في التعود على الأشياء وجعلها طبيعية من سيورة الحياة الاجتماعية .

وأكثر وسائل الإعلام أهمية هو التلفاز والذي يعتبر أحدث وسائل الاتصال لأنه ينقل الأحداث والمعلومات بالصوت والصورة، وبشد اهتمام كل حواس الأفراد، لذا فقد أخذ منذ ظهوره حيزاً ومجالاً واسعاً، وقد استطاع أن يغير بعض عادات الأفراد، إذ وحسب دراسة قامت بها RTF الفرنسية بين سنتي 1955 و1956⁽²⁰⁾. بين مختلف العائلات، حول أثر دخول التلفاز إلى البيوت في فرنسا، فوجدت أن 85 % من الطبقة المثقفة، و50 % من الطبقة العاملة يقضون أكثر وقتهم في المنزل (بعد العودة من العمل) منذ دخول التلفاز، فبعد أن كانوا يذهبون إلى الملاهي الليلية والمراقص، فقد تغيرت عاداتهم (الرجال منهم خاصة) . كما أن تجمع الأفراد لمشاهدة التلفاز، وحسب نفس الدراسة يساعد أكثر على الحوار والنقاش حول مواضيع متعددة، وإن استطاعت وسائل الإعلام أن تغير بعض السلوكيات فإنها أيضاً أدت إلى خلق الاجتماعي في الفرد في نفس الوقت الذي تظهر أمامه جانباً اجتماعياً.

إن وسائل الإعلام اليوم أصبحت جد متطورة وعلامة من علامات التقدم والتطور، لذا نجد الأفراد يسارعون في اقتناء الأحسن منها، لحصوله على المعلومات بطريقة أسرع، والتلفاز اليوم لم يعد الوحيد أو الأكثر تأثيراً فنجد وسيلة أخرى بدأ استعمالها في الحصول على المعلومات المختلفة والمتنوعة (خاصة إذا تطرقنا إلى مجال المعلومات الجنسية) وهي الإعلام الآلي، عن طريق الإنترنت، لا سيما وأن المتحكم فيها يستطيع الحصول على

المعلومات منها متى شاء، وبأي طريقة، وفي كل وقت، فبعد أن كانت وسائل الإعلام هي التي تحدد على الأقل وقت ونوع المعلومات، أصبح الفرد الآن بإمكانه أن يحدد هو وقت ونوع المعلومات التي يريد الحصول عليها

وسائل الإعلام والجنس

أصبحت وسائل الإعلام تمثل القوة الأكثر تأثيراً في توجيه سلوكيات الأفراد، لاسيما التلفزيون الذي أصبح الجهاز الأكثر استعمالاً، لأنه ينقل الخبر بالصوت والصورة معا وكأنك تعيش أو تعيش ما هو كائن، لاسيما بعد تطور استعمال الأقمار الصناعية فهي وسيلة جديدة من وسائل الإقناع فالتلفزيون كوسيلة إعلام يساهم في ذلك، فحسب M. Bohler et George M. Beal⁽²¹⁾، أن الإقناع يتم من خلال الإدراك فالاهتمام، التقويم والتجريب أو المحاولة، وأخيرا الممارسة والتبني.

وذلك يتم من خلال هذه المراحل، فالفرد يدرك للمرة الأولى الفكرة الجديدة والتي قد يسمع عنها لأول مرة ثم يهتم بها من خلال بحثه عن تفصيلات أكثر حولها، ثم يقوم في مرحلة أخرى بعملية التقويم والتي يبدأ في التأكد من ضرورتها وهل تحقق أهدافه، ويربط بين ظروفه الشخصية وبين ما تحصل عليه من معلومات، وقد يلجأ إلى جماعته الأولية وأصدقائه، حتى يصل إلى قرار بتقبل الفكرة أو رفضها، فإذا تأكد من فائدتها بدأ في عملية تجربتها، وإذا حققت له التجربة نفعاً، تبناها السلوك وأصبحت جزء من حياته، فإننا لو حاولنا تطبيق هذه المراحل على المعلومات الجنسية باعتبار أن وسائل الإعلام تعمل دائماً على نشر معلومات جديدة، سنجد أن الفرد الذي قد يكون جاهلاً بالمعلومات الجنسية عندما يحصل على أول معلومة يبدأ اهتمامه بالجنس يتزايد ويبدأ بالبحث عن أفكار ومعلومات جديدة حوله، ولأن المرحلة الثانية هذه لا تحتاج إلى عملية تقويم كبيرة وطويلة، لأن المعلومات الجنسية مهمة في نظره، وهو متأكد من أنه على صواب في البحث عنها، وعلى الأقل لا يقف أولاً يريد أن يكون جاهلاً بهذه الأمور، بالإضافة إلى إمكانية استمتاعه بالبحث عنها، ولا يمكن القول أننا نبالغ إذا قلنا أن الفرد يبدأ بتجريب ما يشاهده، والذي يمكن أن يكون من خلال الحلم، الاستمنااء، الانحراف الجنسي، أما الحلم أو الاحتلام فهو انعكاس لتفكيره والذي قد تعود بعض الصور في ذهنه، حول مشاهد جنسية رآها أو يتمنى رؤيتها، أم

الاستمناء والعادة السرية فهو يعني أن يبدأ الفرد بإشباع لذته بنفسه، لأنه لا يملك الوسيلة لغير ذلك.

لنصل في الأخير إلى الانحراف الجنسي والذي يعرفه فرويد: « بأنه لذة منفصلة عن الفعل التناسلي، ولكنها في الوقت نفسه لذة لا ترضى عنها المعايير السائدة في أي حضارة »⁽²²⁾، وعليه فإن الانحراف الجنسي هو ما يمكن أن نسميه بالنسبة للمراحل السابقة بالمرحلة الأخيرة وهي تبني الفكرة والتي تظهر من خلال السلوك، إن لم يكن في مقدور هذا الفرد الزواج .

لكن يبقى أن تبني هذه الفكرة مرهون بالصراع الذي ينشأ داخل الفرد من حيث إحساسه بالخطأ وربما احتقاره لنفسه، وهنا يبدأ التوتر النفسي، وهذا ما يقوم به الإعلام، ويساعد على تسريعه، فالتلفزيون يحمل آثارا واسعة، وعندما نتحدث عن التلفزيون فإننا نقصد به البرابول، ذلك أنه يمكنه أن يقوم بتغيير قيم وآراء الأفراد على المدى الطويل، خاصة وأن برامجه متكررة، فهو ينقل الفرد بعاداته وتقاليده وطرق معيشته إلى كل مكان وإلى كل بلد، فيجعله يقارن بينه وبين العالم الذي يريه التلفاز، ويبرز التأثير خاصة إذا كان الفرد يعيش وضعا أقل مكانة مما يريه التلفاز، ومن ذلك فهو يؤثر سلبيا إذ تظهر « ظاهرة المحاكاة لأنماط غير ملائمة لظروف المجتمع ، مما يؤدي إلى غياب المفهوم الثقافي »⁽²³⁾.

يمكن أن نجد هذا واضحا من خلال دراسة أجريت سنة 1994 شملت أربع⁽²⁴⁾ ولايات من الوطن، هي: الجزائر، البلدية، عنابة، المسيلة، وشملت 664 شابا ثانويا يدور موضوع الدراسة الميدانية هذه حول « الشباب الجزائري وبرامج التلفزيون الأجنبي »⁽²⁵⁾، والتي أظهرت نتائجها التأثيرات التي تحدثها برامج البرابول على الشباب حيث أن « 34,46 % من العينة، أكدوا تغييرهم لأخلاقهم وأفكارهم وسلوكاتهم السابقة عند مشاهدة البرابول... وأن 18,15 % منهم تبنوا أفكار وأخلاق وسلوكات البرابول »⁽²⁶⁾، وعليه يمكن القول حسب جورج جيريز « إن التلفزيون قد استطاع أن يغير وجه الحياة السياسية في البلاد ويبدل العادات اليومية للشعب ويكيف أسلوب الحياة... »⁽²⁷⁾.

فالإعلام أو التلفزيون قد استطاع أن يؤثر على سلوكات الأفراد لذلك نجد البعض يمتنع أو يحاول الامتناع عن مشاهدة هذه القنوات الأجنبية لأنه يعرف أنها تتنافى مع أخلاق المجتمع بما تحمله من صور وسلوكات لا أخلاقية.

من نتائج الانفتاح على النظام الرأسمالي والحرية الشخصية، ظهرت سلوكات جديدة في المجتمع دعمها التطور الحالي للمعلوماتية، فنجد أن الانترنت فقط في الدول المتخلفة كالجائر لا تستعمل لغرض علمي بحث، فالانترنت وهي شبكة معلوماتية تربطك بالعالم، هي الآن عندنا وعند البعض تستعمل مثلها مثل البرابول، بل وربما بأكثر حرية، فالفرد هو الذي يحدد طبيعة ما يرى وقت ما يريد، لاسيما وأنها أصبحت في متناول الجميع، ولأن غرضها تجاري (بالنسبة لأصحاب المحلات) فأصبح معروفا لدى الشباب ومن مختلف الأعمار، المحطات "Sites"، التي تبث المعلومات الجنسية، وربما خطرها يكبر لأن بإمكان الأطفال الدخول إلى هذه المحطات لسهولة ودون مراقبة، ولأنهم يدفعون أجرا فلا أحد يحاسبهم، ليس كالتلفزيون فحسب الدراسة السابقة، فإن 60,84 % من أفراد العينة أكدوا مراقبة أوليائهم وتوجيههم لهم عند مشاهدتهم برامج القنوات الأجنبية⁽²⁸⁾، كما ذكر 42,23 % من أفراد البحث أن الأفلام التي تمنع عنهم هي الأفلام الفاضحة وغير الأخلاقية، و15,4 % الأفلام الليلية...⁽²⁹⁾. وعليه فالانترنت مجال آخر من مجالات التأثير، الذي لا نعرف أثره لحد الآن، لأنه وسيلة جديدة.

فكل هذا يؤدي إلى ظهور آثار سلبية وانحرافات جنسية كثيرة ومتعددة، كالاغتصاب مثلا والذي خلال سنوات 1991 إلى 1999 بالنسبة لمنطقة البلدة نجد حسب دراسة قامت بها المصالح الطبية لمستشفى بن بولعيد⁽³⁰⁾، قد وصل إلى 192 حالة موزعة حسب السنوات كالتالي:

جدول رقم : 01

السنة	1991	1992	1993	1994	1995	1996	1997	1998	1999
العدد	05	15	23	13	11	10	35	38	42
النسبة %	2.60	7.81	11.97	6.77	5.72	5.20	18.22	19.79	21.87

الفضائيات وأثرها على السلوك الجنسي لدى الشباب الجزائري

سيدي موسى ليلي

حسب السن كالتالي:

جدول رقم : 02

السن	أقل من 5 سنوات	10-6	15-11	20-16	25-21	30-26	35-31
العدد	13	21	46	89	15	06	02
النسبة %	6.77	10.63	23.95	46.35	7.81	3.12	1.04

تبقى هذه الإحصاءات حسب-زموشي-مختص أمراض النساء، غير صحيحة، لأن السبب في حدوثها هو خوف الأولياء من فقدان عذرية بناتهم فعند تصريحهم بفعل "الاغتصاب تقام لهم الفحوصات وذلك بعد تبليغ الشرطة، والتي تكون هي السبب في هذه الفحوصات (أي بطلب من الشرطة)، ونلاحظ أن أكبر نسبة للاغتصاب، ين سنوات (16-20)، وربما يرجع ذلك إلى أن الفتيات لم يكن يملكن كفايتهن من الحذر والحرص الذي كان يجب على الوالدان أن يقوموا بتعليمه لبناتهن، لاسيما وأنهن في مرحلة النضوج، أين تكون الأنظار موجهة لهن.

أما عن ظاهرة أخرى تتمثل في الولادات غير الشرعية فحسب نفس الطبيب وفي دراسة أخرى حول الموضوع" (31)، وصلت إلى غاية 1999 ومن بداية 1991، إلى 579 حالة ولادة غير شرعية، 36.44 % منها تتركز حول فئة سن (20-24)، و 25.21 % حول فئة سن (25-29)، وعليه فإن الانحرافات الجنسية بدأت تظهر وخاصة بين المراهقين، إذ أن (13.12 %) من الولادات غير الشرعية هو لدى فئة سنة (15-19) هذا بالإضافة إلى مرض السيدا الذي بدأ ينتشر في بلادنا، لعدم وجود توعية وتحذير، وكذا للثقافة السائدة في المجتمع الجزائري التي مازالت تمتنع عن الحديث عن الأمراض الخطيرة والمعدية ربما ظنا منها إلى أن مجرد ذكرها قد يؤدي إلى الإصابة بها.

بعد هذا العرض المركز حول ما يحدث في المجتمع الجزائري أو الأسرة الجزائرية بالتحديد، حول موضوع الجنس أو طريقة الحصول على المعومات الجنسية إن أردنا التحديد والتدقيق، فالتربية الأسرية تفرض أمورا والواقع أمورا أخرى، وبعبارة أخرى

موضوع الجنس ممنوع التطرق إليه، لكن الفرد في المجتمع مع ذلك يجد نفسه معرضا له، ويصطدم بحقائقه من خلال جسده الذي ينمو ويتغير - خاصة في مرحلة المراهقة والبلوغ أين تظهر تغيرات جسدية واضحة- والذي يكون مجالا خصبا للمعرفة لأبد من تأكيده، حتى يشعر الفرد بالرضى والراحة والاستقرار بأنه في صحة جيدة، وتحصل على المعلومات الكافية واللازمة عن جسده والتي تجعله يطمئن بأنه لا يختلف عن باقي أفراد المجتمع.

بالمقابل، بقدر ما تؤدي به المعرفة الشخصية والفردية (غالبا) إلى الحقيقة التي يطلبها، بقدر ما تجعله يشعر بالقلق والخوف والقهر لأنه ارتكب خطأ في تعديه إلى هذه المعرفة الممنوعة اجتماعيا، والمشروعية طبيا وعلميا كما قد تجعل هذه المعرفة غير المراقبة وغير الموجهة الفرد يتجه إلى الرغبة في التحرر والاستقلال ورفض كل تعاليم وتقاليد الأسرة والمجتمع معا.

من كل هذا يمكننا أن نتساءل :

كيف يمكننا تحويل الحديث عن الجنس إلى سلوك اجتماعي؟ وكيف يمكننا أن نجعل الفرد في المجتمع الجزائري يتطرق لموضوع الجنس دون خوف أو ارتباك أو حتى شعور بالذنب؟ هل يمكننا أن نسهل البحث في الحقيقة الجنسية ونجعل منها مجالا للمعرفة العلمية، الصريحة والصحيحة والموجهة، والتي تهدف إلى المحافظة على الذات والجسد، ونمنع بذلك كل مجال للفوضى والانحراف؟

الهوامش:

¹-Zerdoumi Nafissa, *L'enfant d'hier, l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel Algérien*, Paris : François Maspero, 1982, p 263.

² -Medhar (S), *Tradition contre développement*, Alger : Ed E.N.A.P, 1992,p57.

³ -Ibid, p55

⁴ -Naaman Guessous (S) *Au-delà de toute pudeur, la sexualité féminine au Maroc*, Maroc, 4^{ème} .edt EDDIF, 1999, p 17.

⁵- Lacoste Dujardin (C), *Des mères contre des femmes, maternité et patriarcat au Maghreb*, Alger : edt Bouchène, 1990, p 71.

⁶ -Ibid, pp 72, 73.

⁷ -Ibid, p 77.

⁸ -Ibid, p 145.

⁹-بوحديبة عبد الوهاب، الجنسية في الإسلام، (تر: محمد علي مقلد)، تونس: سراس للنشر، 2000، ص 241.

¹⁰- باسم الكيال، سيكولوجية المرأة، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1983، ص388.

¹¹- بوحديبة عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 240.

¹²- أنظر وطفة علي، "مظاهر التسلط في الثقافة و التربية العربية المعاصرة " بحث في التواصل مجلة العلوم الإنسانية، العدد 11 باتنة. 1999. (7-32)

¹³-غباري سلامة محمد، الخدمة الاجتماعية ورعاية الشباب في المجتمعات الإسلامية، الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث، سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية، الكتاب (6)، 1983، ص 15.

¹⁴-السيد الشحات أحمد حسن، الصراع القيمي لدى الشباب، ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، القاهرة: دار الفكر العربي، 1988، ص 141.

¹⁵-عجوة علي، دراسات في العلاقات العامة والإعلام، القاهرة: عالم الكتب، 1985، ص25.

¹⁶- شرابي هشام، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ط3، 1981، ص 85.

¹⁷- إحدادن زهير، مدخل العلوم الإعلام والاتصال، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص 13

¹⁸- ورا ن.ك. أجي، فيليس هاولسن، وإيدوين أيمرى، وسائل الإعلام، صحافة، إذاعة، تلفزيون، (تر: ميتشك نكالا)، القاهرة: مكتبة الوعي العربي، 1984، ص 14.

¹⁹-عوده محمد، أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ص5.

²⁰-معن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، 1991، ص 128

²¹-Melon Martinez (E), *La télévision dans la famille et la société moderne*, Paris : edt Sociales Françaises, 1969, p.p 175-178.

²²- عوجة علي، دراسات في العلاقات العامة والإعلام، القاهرة: عالم الكتب، 1985، ص 25.

²³- السيد الشحات أحمد حسن، ص 141.

²⁴- عبد الله بوجلal، "آثار التلفزيون على المشاهدين"، بحث في مجلة بحوث مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، العدد (2)، 1994، (ص ص 75-105)، ص 81

²⁵- عبد الله بوجلal، "الشباب الجزائري وبرامج التلفزيون الأجنبي"، بحث في مجلة بحوث مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، العدد (3)، 1995، صص 31-57.

²⁶- المرجع نفسه، ص 50.

²⁷- عبد الله بوجلal، "آثار التلفزيون على المشاهدين"، المرجع السابق، ص 75.

²⁸- بوجلal عبد الله، الشباب الجزائري وبرامج التلفزيون الأجنبي، مرجع سابق، ص 45.

²⁹- المرجع نفسه، ص 47.

³⁰- Bousselem (R) et autres, « Violences sexuelles », Rapport de stage d'internat, en vue d'obtention du Doctorat en médecine, Blida, 1999-2000.

³¹- Masfene & Autres, « Les grossesses illégitimes (Janvier 1991- Décembre 1999) », Rapport de stage d'internat, en vue d'obtention du Doctorat en médecine, Blida, 1999-2000.